قادة الرأي في المجتمع الجزائري
بعض الملامح الأولية

د. جمال العيفة

جامعة باجي مختار – عنابة–

SUMMARY
the leaders of opinion in algerian society :
some initial features.

Families and groups of friends , work and other groups , are considered as a personal network contacts , interspersed and influences with natural and certain ways , and the commander is the strategic elements of the formulation of the groups 's views , he is more aware of the ideas of members of the group , he tries to amendment and compromise them and supports the social organization for most groups on the existence of official leaders or informal , these leaders are engaged in one form or another , both types of influence on people around them , or the rest of the members of the community to varying degrees .

Algerian society is full of communities like many of these Leaders , Almmon in the social fabric of Algeria , and are undoubtedly engaged in several kinds of communication and influence the formal and informal .

ملخص المقال باللغة العربية:

يعتمد التنظيم الاجتماعي لأغلب الجماعات على القادة الرسميين أو غير الرسميين، هؤلاء القادة يمارسون بشكل أو بآخر أنواعا من التأثير سواء على الأفراد المحيطين بهم، أو على باقي أفراد المجتمع بدرجات متفاوتة.

فمن حيث التركيبة الاجتماعية نجد المجتمعات العربية ومنها المجتمع الجزائري، وعلى الرغم من بعض التحولات تؤدي فيه العائلة والقبيلة... دورا محسوسا في حياة الأفراد وسلوكهم.

ويزخر المجتمع الجزائري بالعديد من هؤلاء القادة، ولا شك أنهم يمارسون أنواعا عدة من الاتصال والتأثير الرسمي وغير الرسمي، وفي هذا المقال سنحاول استعراض بعض الملامح الأولية حول قادة الرأي بالجزائر، في ظل غياب الدراسات النظرية والأمبيريقية التي تحيط بهذا الموضوع المهم.

مقدمة:

يتخذ الارتباط أو الانتماء إلى جماعة معينة ألوانا كثيرة، بعضها يكتسبها الفرد بحكم وجوده داخلها مثل الأسرة، وبعضها الآخر يخطط لها الإنسان ويسعى جاهدا للحصول عليها وفي مقدوره أن يتمسك بها، وكلما ارتقى الإنسان في رحلة الحياة، قلت روابطه ببعض الجماعات، وكثرت روابطه بجماعات أخرى، وزادت انتماءاته المكتسبة عن انتماءاته الموروثة.

إن الأسر وجماعات الأصدقاء والعمل وغيرها من الجماعات... هي بمثابة شبكة اتصالات شخصية، تتخللها التأثيرات بطرق طبيعية مؤكدة، والقائد عنصر استراتيجي من عناصر صياغة آراء الجماعة، فهو أكثر وعيا بأفكار أعضاء الجماعة، وهو يحاول التعديل والتوفيق بينهم.

ويعتمد التنظيم الاجتماعي لأغلب الجماعات على وجود القادة الرسميين أو غير الرسميين، هؤلاء القادة يمارسون بشكل أو بآخر أنواعا من التأثير سواء على الأفراد المحيطين بهم، أو على باقي أفراد المجتمع بدرجات متفاوتة.

ويزخر المجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات بالعديد من هؤلاء القادة، المتوزعون في النسيج الاجتماعي الجزائري، ولا شك أنهم يمارسون أنواعا عدة من الاتصال والتأثير الرسمي وغير الرسمي.

فماذا عن مفهوم قادة الرأي؟ وما هي ملامح هذا المفهوم وتجلياته داخل المجتمع الجزائري الذي يُعتبر مجتمعا تقليديا على الرغم من بعض مظاهر التمدن البادية عليه؟

في هذا الإطار نحاول تحليل قادة الرأي، من ناحيتين:

الأولى: تتعلق بالمفاهيم المختلفة لهذا المصطلح.

الثانية: تتعلق بالمنهجية المناسبة لمعالجة وتوظيف هذا المصطلح، في مجتمعات العالم الثالث ومن بينها الجزائر، خاصة إذا علمنا أن أول إشارة لهذا المفهوم كانت غربية.

سنتناول ذلك من خلال التعرض للعناصر التالية:

دور الجماعات الاجتماعية ومميزات الاتصال الشخصي داخل هذه الجماعات المختلفة، مع استعراض العلاقات الاجتماعية والشخصية في التراث العربي؛ للتعرف على الخلفية التاريخية والفكرية لهذا الموضوع، فضلا عن التعرض لمظاهر التنظيم الاجتماعي في المدن العربية الحديثة لأن ذلك سيفيدنا في تحليل العلاقات الاجتماعية داخل هذه المدن، ثم التطرق للمفاهيم المختلفة لمصطلح قادة الرأي، ثم إلى الدراسات الأولى حول قادة الرأي، وأخيرا استعراض بعض الملامح الأولية حول قادة الرأي بالجزائر، في ظل غياب الدراسات النظرية والأمبيريقية التي تحيط بهذا الموضوع المهم.

دور الجماعات وماهيتها:

يتميز الاتصال داخل الجماعات بمجموعة من الخصائص أبرزها:

1- أن الاتصال الشخصي له الغلبة في صياغة مجمل اتجاهات ومعارف البشر، حيث تتشكل من خلاله الاتجاهات الأساسية للأفراد في طفولتهم في إطار الأسرة، ثم إطار المدرسة... تلك الاتجاهات التي تصبح أكثر مقاومة للتعديل بعد ذلك، عندما يشب الطفل ويصبح يافعا.

2- تتميز جماعات الاتصال الشخصي الموجودة تلقائيا بأنها تقوم – وبشكل تلقائي– بتصفية مضمون رسائل الاتصال الجماهيري وتنقيتها، بمعنى تقييمها والحكم عليها ومن ثم تصديقها والتأثر بها إيجابيا أو تكذيبها والتأثر بها سلبيا، كما تساهم جماعات الاتصال الشخصي المكونة لتحقيق أهداف معينة في مناقشة رسائل الاتصال الجماهيري، وقبولها وتزكيتها من أفراد الجماعة أو تجنبها وتحاشيها.

3- إن الإنسان بطبيعته أميل إلى تبني ما يعتقد أنه شارك شخصيا في إنجازه، وفي المقابل هو أميل إلى نقد وتمحيص ما يتلقاه جاهزا (خاصة إذا كان موجها من السلطة)، وبالتالي فتأثير الاتصال الشخصي على تعديل الاتجاهات يكون أكثر عمقا وثباتا [1].

وكلما انضم شخص إلى هذه الوحدة الأولى فإن العلاقات ذات الاتجاهين تتكاثف وتتكاثر بمتوالية مثلثية Trangile، حتى تبلغ كثافة العلاقات ذات الاتجاهين عشرة أفراد مثلا إلى خمس وأربعين مجموعة من العلاقات المتبادلة ذات الاتجاهين، واتصال المشاركة، والاتصال التبادلي القائم على الحوار يثمر دائما عن جديد كمحسنات قول أو مبدعات عمل، وهذا أبسط المحصنات الحضارية التي يؤدي تراكمها إلى كيف حضاري متميز[2].

لقد أدرك السياسيون والقادة خطورة تأثير الجماعات كالأحزاب السياسية والاتحادات المهنية والجمعيات الدينية في كسب تأثير الرأي العام وإعداده لمواجهة الأزمات واجتيازها وتفسير القرارات السياسية التي تصاحبها[3].

وظهرت أهمية الجماعات النوعية التي تخدم أهدافا محدودة عند مواجهة مشكلات المجتمع، وذلك لاعتمادها على المشاركة الذاتية[4].

---

[1]- زيدان عبد الباقي، وسائل وأساليب الاتصال في المجالات التربوية والاجتماعية، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1979).

[2]- المرجع السابق، ص 13.

[3]- علي عجوة، الأسس العلمية للعلاقات العامة، الطبعة الثالثة، (القاهرة: علم الكتب، 1985)، ص 132.

[4]- علي عجوة، العلاقات العامة والمشاركة الذاتية، القاهرة، مجلة النيل، العدد الخامس، يوليو، 1992، ص 24.

من أجل هذا لجأ الدعاة إلى تأسيس الجمعيات والجماعات التي تؤيد دعوتهم وتتبناها وتخدم أهداف المجتمع، وتظهر حاليا في ميدان العلوم الإنسانية أفكار حول تعقد الظواهر والتفاعل بينها وينعكس ذلك في تزايد الاهتمام بالجماعات بشكل أكبر من ذي قبل، ومن اتخاذ المنظمات الحكومية موضوعات للتحليل[1].

وقد كثرت الجمعيات والتنظيمات المهنية والعلمية والسياسية في دول العصر الحديث، ولهذه التنظيمات دورها في سائر المجتمعات بصفة قائمة[2].

والمجتمع مكون من مجموعات من الناس تتراوح ما بين هيئات كبيرة منظمة بشكل عمدي ولها أهداف محددة، توصف بأنها مجموعات من الدرجة الثانية، وتتضمن منظمات سياسية ودينية، وهيئات مهنية ونقابات...الخ وجماعات أولية تتجمع بشكل غير رسمي، وتتكون من أفراد معدودين.

ينتمي الفرد عادة إلى عديد من الجماعات وله مكانة مختلفة في كل واحدة منها، وكثيرا ما يكون الفرد ماديا في جماعة معينة، ولكنه ليس عضوا فيها، لأنه يستمد مستوياته من جماعة أخرى يعتبرها جماعته المرجعية في بعض الاتجاهات، وتفرض تلك الجماعات ضغوطا أساسية للخضوع لقواعد المجتمع[3].

ويحتاج المجتمع إلى كافة أنواع الجماعات لتحقيق أهدافه والمشاركة في خططه، وتتميز تلك الجماعات بخصائص مهمة هي:

1- أن بها قدرا كبيرا من التعمد والتطوعية والتشكيل الواعي.

2- أنها تقوم حول اهتمامات أو حاجات جزئية ومتخصصة.

3- أنها تتميز بالاتصالات المباشرة والعلاقات القوية فيما بين أفرادها.

وقد لا توجد تلك العلاقات دائما كما يحدث في بعض الجمعيات العلمية على مستوى العالم التي قد تستمر لسنوات، دون أن يلتقي أعضاؤها لقاءا مباشرا وشخصيا، وإنما تقوم العلاقة على وسائل للاتصال غير المباشر مثل البريد والتليفون والتلغراف والوسائل المطبوعة[4].

وهذه الجماعات تقوم بكافة الأنشطة المجتمعية الأخرى، فهذه الجماعات تقوم بأنشطة اجتماعية متعددة ومتنوعة وأنشطة ثقافية وعلمية ودينية[5].

---

[1]- بول غلس، المجتمع المدني العالمي، المنظمات غير الحكومية العالمية في إطار النظام العالمي، القاهرة، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، أغسطس، 1992، اليونسكو، ص 103.

[2]- علي عجوة، الأسس العلمية للعلاقات العامة... مرجع سابق، ص 140.

[3]- جيهان رشتي، الأسس العلمية لنظريات الإعلام، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1975)، ص 565.

[4]- فؤادة عبد المنعم البكري، الاتصال الشخصي في عصر تكنولوجيا الاتصال، (القاهرة: عالم الكتب، 2000)، ص 124.

[5]- المرجع السابق، ص 125.

يحتاج إليها المجتمع ويصعب الاستغناء عنها، وينضوي تحت لوائها الكثير من الأعمال، بدءا من أعمال أو أنشطة الإبداع الفردي إلى أعمال النشر وحماية حقوق الجماعات وإقامة المعارض والأسواق والحفلات، وتعقد المحاضرات والندوات والمؤتمرات، حلقات البحث، وتصدر الدوريات بالإضافة إلى هذه الأنشطة هناك جماعات تقوم بأعمال مهمة في مجال البيئة بالعمل والتصدي لأي اعتداء، وحماية البيئة من أي تخريب أو إهمال، بالإضافة إلى امتداد خدماتها وشمولها بالأهداف القومية والتراثية بالمحافظة على التراث القومي، ورفع الصوت عاليا ضد أي اعتداء عليهما أو إهدار لقيمتها[1].

وتستطيع تلك الجماعات أن تصبح جماعات ضغط يعتد بها لدى الدولة، إذا سمح لها القانون بذلك، وقبل الحديث عن أهمية تلك الجماعات، نعرض لبعض أشكال تلك الجماعات من خلال التقسيمات التي قام بها الباحثون.

تقسيم الجماعات:

يقسم علماء الاتصال الجماعات إلى أربعة أشكال، حيث يحدث الاتصال عادة بين أي عدد من الناس، ولكن عدد المشاركين له فاعليته الخاصة في طريقة خلق المعاني وتحويلها، وتركز دراسات الاتصال على أربعة مستويات لحدوث التفاعل الاجتماعي حيث تتحدد الوحدة الاجتماعية Social Unit على أساس عدد الأشخاص المنضمين إليها ويذكر دنيس سميث و ويليامسون أن هناك أربعة مستويات للاتصال هي:

1- الشكل الثنائي أو الزوجي Dyad، وهو عبارة عن وحدة مكونة من شخصين.

2- الجماعة الصغيرة Small Group والتي لا يقل فيها العدد عن ثلاثة أشخاص، ولا يتجاوز الثمانية عشر شخصا.

3- الجمهور أو الجماعة الكبيرة Public or large Group و هي عبارة عن تجمع عدد كبير من الناس في مكان واحد، وفي وقت محدد، مثل التجمع لسماع محاضرة أو إبرام اتفاق ما أو مشاهدة تجمع سياسي.

4- الحشد The Mass وهو الجمهور المتنوع مثل جمهور أو قراء جريدة من الجرائد أو مستمعي محطات الراديو، والذين ينتشرون في كثير من الأماكن.

وكل مستوى من المستويات السابقة له خصائصه التي تميزه عن بقية المستويات.

وعند دراسة عمليات الاتصال، يجب أن يؤخذ في الاعتبار مستوى التفاعل الاجتماعي الذي يحدث بين الأفراد، فعند دراسة الجماعات الصغيرة ينبغي ملاحظة مراحل نمو الجماعة والمناخ السائد والقيادة الخاصة بها، ويحدث الاتصال الشخصي في المستوى الثنائي الزوجي، وهو أبسط أشكال ومستويات التفاعل والتكامل الاجتماعي، ويحدث داخل الجماعات أيضا، كما يمكن أن يحدث بين الجمهور[2].

---

[1]- المرجع نفسه، ص126.

1- Dennis, R. Smith and L. Keith Williamson, Interpersonal communication Roles, Rules, Strategies and games Web,Wmc.Brown publishers Dubuque lowa, third edition, 1985, p27.

تقسيم آخر للجماعات:

قام وارنر سيفرن وجيمس تانكر بتقسيم الجماعات تقسيمات أخرى إلى ثلاثة أشكال وذلك على النحو الآتي:

1- **الجماعات الأولية:** تتكون من اثنين أو أكثر من الأشخاص، تتضمن روابط قوية وحميمية، تستمر لفترات طويلة، تعتمد على علاقات الوجه للوجه مثل: الأسرة وجماعات الرفاق أو الفريق والجماعات الأخوية، أو الوحدة العسكرية.

2- الجماعات المرجعية: هي جماعات متعارفة ومترابطة وتستخدم كنموذج يقاس عليه، وليس من الضروري الانتماء إليها على سبيل المثال الطالب الذي يرغب في الانضمام إلى جماعة معينة، ويبدأ في تعلم طريقة عملهم، وتبنى اتجاهاتهم رغم أنه لم يصبح عضوا معهم بعد.

3- الجماعة الوقتية: هي جماعة وقتية من الناس لا يعرف بعضهم بعضا، لكنهم قد يتواجدون معا، كمجموعة من الناس يصعدون مصعدا ومجموعة تركب معا وسيلة من وسائل المواصلات أو مجموعة تشاهد مباراة كرة قدم وتجلس معا هي جماعة وقتية.

وغالبا ما تشترك الجماعات في المقاييس والأحكام، ويمكن تسمية تلك الأشياء المشتركة بالعرف السائد أو المعايير السائدة بينهم، والتي تحكم الكثير من السلوك الإنساني الخاص بهم[1].

وقام الباحثون في مجال علم النفس بتقسيم الجماعات إلى تقسيمات قريبة من التقسيمات السابقة، وهي:

أ- الحشد: هو جمع من الأفراد غير المتجانسين، يجمعهم تواجدهم في مكان وزمان واحد، يجمعهم عارض يزول بزوال ظروف تكوينه، ويتم بطريقة تلقائية إلا إذا اكتسب صفة التنظيم الاجتماعي أو الجماعة الاجتماعية.

ب- الجمهور: ويتمثل في عدد من الأفراد المتفرقين الذين لا يجمعهم زمان أو مكان واحد، كل فرد من الجمهور قد لا يعرف جميع الأشخاص الآخرين، وإن كانوا يشتركون في اهتماماتهم ومشاعرهم وأفكارهم، وقد يتمثل الجمهور في جماعة قومية أي ينتمون إلى بلد معين أو جماعات اجتماعية، أي ينتمون إلى طبقات أو فئات معينة أو هيئات، مثل أبناء ديانة معينة أو أتباع مذاهب سياسية، مثل المنتمين إلى حزب معين، أو اقتصادية مثل المستهلكين لسلعة معينة أو ثقافية مثل قراء أحد المؤلفات أو المشاهدين لأحد الأفلام.

2-Warner .J. Severin and James w, Tankard Jr.Communications theories, Origins, Methods, Uses, Communication Art Books, Hasting House Publishers, New York, 1991, p4.

ج- الجماعة الاجتماعية: وهي عبارة عن مجموعة من الأفراد، تتكون من شخصين فأكثر ولها دور محدد تقوم به وتتسم الجماعة بنوع من الاستقرار والتنظيم، مثل الأسرة، الفصل الدراسي، المدرسة، أعضاء فريق الكرة أعضاء مجلس إدارة العاملين في مصنع، ممن يعرف بعضهم البعض الآخر، ويتفاعلون فيما بينهم[1].

أما في مجال الدراسات الاجتماعية، فقد قسم الباحثون الجماعات إلى جماعات أولية وتمثل الأسرة حيث تعد نموذجا مثاليا لها، والجماعات الثانوية التي تتمثل في الجماعات المختلفة مثل النقابات المهنية والعمالية والهيئات الدينية والأحزاب السياسية والمدارس الفكرية، وقد تأخذ تلك الجماعات طابع التنظيم الرسمي، ولها تقاليد وطرق خاصة في القيام بوظائفها وتسمى الجماعات النظامية، ويمكن القول أن داخل كل جماعة من هذه الجماعات توجد جماعات أخرى فرعية داخلة فيها أو خارجة عنها[2].

وقد أخذ كثير من الباحثين بهذا التقسيم السابق منذ أن استحدث تشارلز كولي Chares Cooly مفهوم الجماعة الأولية والجماعة الثانوية في كتابه "التنظيم الاجتماعي" الذي أصدره 1909، واعتقد الباحثون بأهمية تلك الجماعات بالنسبة للفرد حيث لا يستطيع العيش دونها.

أهمية الجماعات وتأثير الاتصال:

إذا كان الاتصال هو عملية نقل الأفكار والمعلومات والمشاعر بين الأفراد والجماعات، فإن هذه العملية تتخذ عدة أشكال وأنماط تختلف باختلاف النظام الاجتماعي والطراز الثقافي الذي يتم فيه ففي الجماعات الأولية والتي تتمثل في الأسرة والأقارب؛ تنشأ بين أفرادها علاقات شخصية حميمة، ويجري الاتصال على نمط معين أساسه المواجهة والاحتكاك المباشر وجها لوجه وفي الجماعات الثانوية التي تنشأ عادة لتحقيق أهداف معينة كالأحزاب والجمعيات والشركات التجارية والأندية والنقابات وغيرها، يجري الاتصال بين أفرادها عن طريق المواجهة والاجتماع والمناقشة، فهو اتصال جمعي يتم على أساس من التفاعل المباشر، رغم أن العلاقات بين أفراد هذه الجماعات لا تكون شخصية أو حميمية[3].

حيث تعد الجماعات بصفة عامة هي أقدم التنظيمات الاجتماعية وأكثرها شيوعا فإن الاتصال هو العامل الرئيسي المهم في وجود تلك الجماعات؛ حيث لا تستطيع الجماعة سواء كانت كبيرة الحجم أو صغيرة أن تبقى وأن تستمر دون حدوث الاتصال بين أعضائها، فالاتصال وحده هو القادر على ربط الأفراد معا في عضوية الجماعات... وهو الذي يساعد أيضا على تحقيق أهداف الجماعة، والاتصال المباشر أو المواجهي يتحقق في الجماعة الصغيرة، وتتمثل أهمية الجماعة في أنه

1- فؤادة عبد المنعم البكري... مرجع سابق، ص 127.

2- المرجع السابق، ص ص127-128.

3- إبراهيم إمام، الإعلام والاتصال بالجماهير، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1983)، ص 103.

من خلالها يمكن عمل الكثير مما يتعذر عمله من خلال الأفراد؛ حيث تؤثر الجماعة المرجعية التي يقارن الفرد نفسه بها، أو يتمنى الانضمام إليها تأثيرا قويا على سلوك الفرد [1].

وقد تعاود الجماعة تأثير الاتصال الذي يعمل على التحويل حتى بين أعضائها المخلصين فقد ينشط الاتصال – على سبيل المثال– المناقشات بين أفراد الجماعة، وهذه المناقشات تجعل أساليب تلك الجماعة أكثر وضوحا، مما يشجع على حدوث التحول بين الأعضاء المخلصين، الذين لم يدركوا تلك الأساليب من قبل[2].

كما تساعد الجماعات على تدعيم الاتجاهات السابقة، أكثر مما تساعد على التغيير، خاصة حينما يقدر الفرد انتماءه للجماعة ويحرص على إظهار الولاء لها، أم حينما تتحول الجماعات المرجعية الإيجابية إلى جماعة سلبية بالنسبة للفرد الذي لا تحقق له رغباته ولا ترضى فيه شعور الفخر بالانتماء إليها، ففي هذه الحالة تصبح فرص تحول الفرد عن آراء الجماعة كبيرة [3].

فكل فرد يتأثر بالجماعات التي ينتمي إليها ويستمد جزاءه وإحساسه بالأمن والطمأنينة من رضى الجماعات التي هو عضو فيها، والفرد يدرك أنماط وتقاليد جماعته ويجعله يختار الحقائق والأفكار التي تتفق مع تلك الأنماط والتقاليد ويتجنب ما يخالفها [4].

وقد ينشط الاتصال المناقشات بين أفراد الجماعة ويساعد على إدراكهم لمزايا التحول، ويشير كل من كاتز ولازارسفيلد إلى أن مناقشة الجماعة قد تشجع أولئك الذين يميلون للتغيير لاكتشافهم أن أقلية تؤيد موقفهم، ولم تدرك أن وجهة النظر الجديدة أفيد لها من الفكرة التي كانت تؤيدها[5].

ومنذ اكتشاف لازارسفيلد لأهمية الجماعات في الأربعينيات من القرن الماضي– عند قيامه بدراسة عن أثر وسائل الاتصال على النوايا الانتخابية– والدراسات لا تنقطع عن الجماعات والاتصال المباشر وقادة الرأي وكيفية انتشار المعلومات في المجتمع[6].

1- B.Auber Fisher Small group decision Making, Com and the group process, Mc Grow Hill Book Company, N.Y. san Francisco, Johannesburg, London, Madrid, Mexico, Paris, Sydney, Tokyo, Toronto, 1988, p14.

2- إيمان رمضان، دور الاتصال في تنمية الجماعات المحلية، دراسة ميدانية تحليلية للأنشطة الاتصالية في عينه في المجتمعات المحلية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، 1995، ص 122.

3- علي عجوة، الأسس العلمية للعلاقات العامة... مرجع سابق، ص 139.

4- جيهان رشتى، الأسس العلمية لنظريات الإعلام... مرجع سابق، ص ص 10- 51.

5- علي عجوة... مرجع سابق، ص 139.

6- survey Scott, Foreman little Brown 6- Linda J. Busby Mass communication in a new Age, A media college Division. Scott Foreman and company. Glen View Illinois, Boston. London 1988, pp352 – 353.

ومن أبرز الدراسات التي قدمت، دراسة كورت لوين عالم النفس الاجتماعي ودراسة روث لزبرغر ودكسن Roth Lisberger and Dixon التي طبقت على عمال مصانع الشركة الكهربائية الغربية، وغيرها من الدراسات الاجتماعية التي أظهرت قوة التفاعل داخل الجماعة وتأثيرها على الأفراد.

ومن الدراسات التي سبقت لازارسفيلد عن تأثير الجماعة والأعراف السائدة بينها دراستا "مظفر شريف" التي ظهرت سنة 1940 و"آش"، تلك الدراسات التي سبقت كورت لوين وغيره من الباحثين بسنوات، وأظهرت قوة تأثير الجماعة على الأفراد.

الدراسات الخاصة بأهمية الجماعات:

دراسة مظفر الشريف عن المعايير الخاصة بالجماعة: أراد شريف في تلك الدراسة أن يصل إلى كيفية تكوين المعايير الخاصة بالجماعة: والمعايير الاجتماعية عبارة عن قواعد ومقاييس مشتركة شائعة بين أعضاء الجماعة، وتتصل بكافة المناطق الخاصة بالسلوك الإنساني، وتتضمن هذه المعايير الطريقة التي يتم بها تصفيف الشعر مثلا، أو قصر الملابس، وتذوق الموسيقى الشعبية وغيرها من الأشياء التي يتم الاتفاق عليها.

ووجد مظفر شريف أن الأفراد ينساقون في آرائهم ويعتمدون على غيرهم من أعضاء الجماعة، كمرشدين لهم في المواقف، التي يسودها الشك وعدم اليقين، وأفادت تجارب شريف أيضا في أن تأثير الجماعة موجود ويمتد على أفرادها في حالة عدم وجود الجماعة نفسها، وهناك كثير من المواقف التي يسودها التردد وعدم اليقين، مثل بعض المواقف الخاصة التي قد تسود في المجالات السياسية أو الدينية أو الأعراف السائدة بين الأفراد وتبعا لتلك التجربة التي قام بها شريف فإن تأثير الجماعات يظهر بصورة كبيرة على الاتجاهات وفي تلك المناطق التي يسودها عدم اليقين[1].

2- دراسة آش Ach عن ضغط الجماعة:

حاول آش أن يكشف ضغط الجماعة على أفرادها، فقام من خلال دراسته باختيار في أحد المواقف الخاصة، حيث طلب من أحد الأشخاص تحديد طول أحد الخطوط ومطابقته بطول خط آخر وضع في ورقة أخرى، لم تكن المهمة شاقة عند وجود الشخص بمفرده، وقد اختلف الوضع تماما عندما تعرض الشخص موضوع التجربة لآراء أخرى تختلف عن رأيه، الذي كونه في البداية وتحول عن رأيه رغم صحته إلى آراء الجماعة رغم خطأ تلك الآراء[2].

وقد خرج آش من تجربته بنتيجة مهمة، وهي: الأقلية تساير معيار الأغلبية داخل الجماعة فبعض الناس يتفقون وينساقون مع جماعاتهم في آرائها، حتى لو تعارضت تلك الآراء مع آرائهم الخاصة، وأن ضغط الجماعة يشكل تأثيرا قويا في حالة اتخاذ

1- Werner J. Severin and James W. Tankard JR. communication Theories, Origins, Methods, Uses, Communication Art Books, Hastings House publishers, New York, 1991, pp 144 – 145.

1- Ibid, p 145.

القرارات الخاصة بالسياسة والحكومة وهذا حدث فعلا كما أوضح برتران رافن 1974 Bertrans .H. Raven للرئيس الأمريكي الأسبق نيكسون، الذي تحولت عنه جماعته عندما تعرض لضغوط الجماعة التي شكلت تحولا خطيرا Risky – shift عند الخروج عن معاييرها عرضة للتساؤل[1].

يميز دانيال ليرنر Daniel Lerner في دراساته عن المجتمعات التقليدية بين ثلاثة أنواع من الأنساق الاجتماعية هي: الأنساق التقليدية والحديثة والانتقالية، واعتبر أن المعيار الحاسم في تصنيف المجتمعات المختلفة هو وسائل الاتصال من حيث؛ مدى انتشارها ونوعية المضمون الذي تروجه بين الناس، وهي الوسائل التي توظف من أجل تحقيق التكامل الاجتماعي، فالمجتمع التقليدي لا يعرف سوى وسائل الاتصال الشفهية، ويتخذ صورة التعليمات (الأوامر والنواهي) أما النمط الحديث من المجتمعات فلديه من وسائل الاتصال الجماهيري، كالصحافة والسينما والإذاعة والتلفزيون التي تخاطب جمهورا كبيرا، والطابع العام لتلك الوسائل هو الطابع الإخباري وليس الإرشادي والتوجيهي، والمجتمعات الانتقالية كيان متصل Continum يربط هذين النمطين.

ففي المجتمع الشعبي تسيطر المناقشة على وسائل الاتصال الجماهيري، بينما تكون السيطرة لوسائل الاتصال الرسمية في المجتمع الجماهيري، فالجماهير تتعرض للمضامين أو المحتويات التي تغطيها وسائل الاتصال.

بين هذين النموذجين نجد كذلك العديد من المجتمعات تقترب أو تبتعد عن أي منهما بنسب مختلفة[2].

وتسيطر على العديد من الأقطار النامية في المجتمعات الشعبية التي يعود سبب انتشارها وتكريسها إلى مجموعة من العوامل أبرزها:

أ– أمية السكان الريفيين مما يجعلهم يعتمدون في الاتصال على حاسة السمع أكثر من الكلام وهذا ما يجعل الكلمة المنطوقة سواء المباشرة منها أو غير المباشرة، عن طريق الراديو مثلا لها تأثير كبير عليهم ويتقبلون مضامينها أكثر من الكلمة المكتوبة.

ب– النظم الاجتماعية التقليدية والصلات القائمة على القرابة والمواجهة الشخصية نتيجة للعزلة وعدم التغير والأمية، تجعل أسلوب الاتصال الشخصي هو الأسلوب المحبب والمفضل لدى الريفيين.

ج– بسبب الظروف المناسبة لتأثير التقاليد والمحبذة للمجتمعات الصغيرة، فإن الوسيلة المفضلة للتعليم والإعلام هي الكلمة الشفهية[3].

2- Ibid, p 146.

4- William Corn Houser, the politics of society, (New York: the free press 1959), p 67.

1- عبد الله بوجلال، استخدام وسائل الاتصال في التنمية بالبلدان النامية في عزى عبد الرحمان (وآخرون)، عالم الاتصال، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1992)، ص 278.

2- أفريت.م. روجرز، الأفكار المستحدثة وكيف تنتشر، ترجمة سامي ناشد، (القاهرة: عالم الكتب، 1962)، ص ص 270-271.

ولما كان الكثير من الفلاحين الذين اتخذهم موضوعا لاستفتائه من الأميين أو الفقراء في الثقافة فان قدرتهم على استخدام وسائل الإعلام العامة كانت معدومة، أما "بيل" و"روجرز" فقد وجدا عام 1957 أن الاتصالات الشفوية تفوق في الأهمية أي مصدر آخر من مصادر المعلومات وذلك في مجال إقناع سكان "أيووا" بشراء الأنواع الجديدة من الأنسجة المصنوعة في الأورلون والداكرون والنيلون[1].

العلاقات الاجتماعية والشخصية في التراث العربي:

لقد كان للمفكرين العرب إسهامات فكرية تتصل بتشجيع العلاقات الاجتماعية وحتى الشخصية منها القائمة على التبادل.

حيث نجد مثلا المفكر أبو علي أحمد بن محمد مسكوية (932-1030) في كتابه "تهذيب الأخلاق" يركز على العلاقات الشخصية الثنائية (فردين فقط)، حيث شدّد على ضرورة قيام مثل هذه العلاقات على الصدق والأخلاق والمنفعة المشتركة[2].

في الاتجاه نفسه، ذهب أبو حيان التوحيدي (310-414هـ) من خلال قول الأوائل أن الإنسان مدني بطبعه، مما يفرض عليه أنواع من الأخذ والعطاء والمجاورة والمحاورة والمخالطة والمعاشرة، لأن الإنسان لا يخلو من جار أو معامل أو حميم أو صاحب أو رفيق أو سكن أو حبيب أو صديق...

إلى ذات الاتجاه ذهب الفارابي (870-950هـ) حيث يرى أنه لا تتم سعادة فرد إلا بالتعاون بين الناس باشتراكهم في حياة منظمة واحدة، لأن الإنسان مدني وإنسي بطبعه[3].

وأن المتوحّد لا يمكنه أن يقوم بكل ما به إليه حاجة دون أن يكون له مؤازرون ومعاونون يقدّم له كل واحد شيئا مما يحتاج إليه"[4].

رأى الجاحظ أن الاجتماع ضروري للبشر، ذلك أنه" لم يخلق الله تعالى أحدا يستطيع بلوغ حاجاته بنفسه دون الاستعانة ببعض من سخر له، فأدناهم سُخر لأقصاهم، وأصلهم ميسر لأولهم وعلى ذلك أحوج الملوك إلى السوقة في باب، وأحوج السوقة إلى الملوك في باب، وكذلك الغني والفقير، والعبد وسيده[5].

وقد رأى الجاحظ أنه لا يمكن أن يتم تحقيق ذلك الاجتماع إلا بالاتصال والذي أشار إلى أنه يتم عبر البيان.

3- معن خليل عمر، نحو علم اجتماع عربي، (عمّان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 1991)، ص ص 105-108.

4- المرجع سابق، ص 116.

5- المرجع نفسه، ص 121.

1- صالح خليل، أبو أصبع، الاتصال الجماهيري، (عمان: دار الشروق للنشر و التوزيع،1999)، ص 55.

المركز الاجتماعي للمتصل:

يتحدث الثعالبي (429هـ) عن المركز الاجتماعي للمتصل: الذي يكسب رسالته قيمة تبعا لأهمية مركزه، وإذا كان هذا قد جاء للحديث عن الشعر، إلا أنه ينسحب على كل الرسائل.

وكان ابن قتيبة قد أشار إلى أن المركز الاجتماعي للمتصل يؤثر في استقبالنا للرسالة، ويرى أن من الشعر ما يختار ويحفظ لنبل قائلها[1].

المتلقي يتقبل الرسائل من المشابهين له بطريقة أفضل:

إن المتلقي أمْيل إلى أن يتقبل الرسالة الإعلامية ممن هو مشابه له فهو يفهم عنه أكثر ويشعر بأنه ألصق به.

وهذا يطرح بشكل خاص دور الخبراء من الإعلاميين التنمويين إذ أن رسائلهم أحيانا لا تجد لها صدى لأن جمهورهم يشعر بغربة عنهم.

يقول الجاحظ في كتاب(الحيوان) "ولأن أكثر الناس عن الناس أفهم منهم عن الأشباح الماثلة...ولأن الشكل أفهم عن شكله، وأسكن إليه وأضب به، وذلك موجود في أجناس البهائم وضروب السباع، والصبي أفهم له، وله آلف وإليه أنزع، وكذلك العالم، والجاهل..."

وحسب ابن خلدون فإن المجتمع الإنساني لا يتكون من مجموعة أفراد فقط أو يتكون من مجموعة قيم وأعراف وأفكار، بل يتكون من أفراد مترابطين بعضهم ببعض بواسطة شبكة من العلاقات الاجتماعية تخضع لضوابط قيمية وعرفية وفكرية، ولكي يستطيع الفرد البقاء دائما داخل المجتمع، يحتاج إلى عدة قنوات اجتماعية تقوم بربطه في بناء المجتمع، إحدى هذه القنوات الاجتماعية النسب الذي يشير إلى معنيين:

الأول: معنى ضيق وهو الانحدار الأبوي وحمل اسم متميز عن باقي الأفراد غير نسبه، أي يتخذ مسارا أبويا وليس أموميا، ويكون موروثيا وليس اكتسابيا، أي أن الفرد العربي يحصل على نسبه من يوم ميلاده من أسرته عن طريق انحدار أبيه، ولا يحصل عليه من خلال انجازه في عمل معين.

و**المعنى الثاني:** أوسع من الأول لأنه يشير إلى المجتمع المحلي، أي اجتماع مجموعة أسر تنتمي إلى (Informal) نسب واحد تعيش في بقعة جغرافية معلومة الأبعاد متضمنة علاقات اجتماعية غير رسمية تنتمي إلى مهنة معينة أو تنحدر من مذهب ديني معين أو تشغل مراكز اجتماعية عالية داخل المجتمع المحلي، ومن خلال عضوية الفرد النسبية (غير الرسمية) فهو يحصل على كافة حقوقه وواجباته ومكانته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية على المستوى المحلي العام[2].

إضافة إلى ذلك، فالنسب يساعد على تميزه عن الآخرين، ويشير أيضا إلى:

1- المرجع نفسه، ص ص 170-171..

2- المرجع نفسه، ص 172.

1- التضامن الاجتماعي الداخلي (داخل النسب الواحد).

2- مكانة الفرد الاجتماعية داخل المجتمع العام.

3- دور الفرد داخل المجتمع.

4- التدرج الاجتماعي داخل المجتمع.

5- نوع نظام تقسيم العمل.

6- نوع الحاجات الاقتصادية والاجتماعية التي كان الفرد العربي يحتاج إليها[1].

فالنسب العربي يصبح من هذا المنظور عبارة عن جماعة اجتماعية أولية (تنظيم اجتماعي غير رسمي) يمنح أعضاءه الدفء والاطمئنان والاستقرار الاجتماعي، فالنسب العربي إذن يمثل جماعة اجتماعية طبيعية نشأ مع ميلاد الفرد، أي أن النسب العربي لم يمثل جماعة اجتماعية مصطنعة ظهرت بسبب فقدان الفرد عضويته الأولية وحرمانه من العلاقات الاجتماعية الحميمية كما هو سائد في المجتمع الحضري الغربي[2].

يمكننا إسقاط التحليل السابق على واقع الحياة العربية باعتبار المجتمع الجزائري جزءا من المجتمع العربي بكل مظاهره وتجلياته، حيث مازال للعائلة والقرية والقبيلة دورها المحسوس في حياتنا وسلوكنا، إذ تعتبر هذه الأخيرة في بلدان عربية كثيرة واحدة من أهم مصادر التجنيد النخبوي على المستوى المركزي المحلي، وقد يتقدم الولاء لها على الولاء للدولة، ومنها تنبثق طبعا شرعية النظم التقليدية، وفي كثير من الأحيان يتخذ الصراع السياسي طابعا عائليا أو قبليا أو طائفيا[3].

إن الدول العربية تشهد حالة من التحضر بالمعنى الديموغرافي،لأن معدلات نمو سكان الحضر تفوق معدلات النمو الإجمالي لسكان الدول العربية.

لأنه ليس سوى عملية "ترييف للمدن" (Ruralization) ففي منتصف القرن العشرين كان الريف العربي يضم ثلاثة أفراد في مقابل كل فرد واحد يقيم في المدن، أما في منتصف الثمانينيات، فمن بين كل اثنين في الأقطار العربية يقيم واحد في المدن وآخر في الريف، وفي بداية هذا القرن لم يبق في الريف العربي سوى واحد فقط في مقابل كل ثلاثة أفراد يعيشون في المدن.

إن التوزيع المكاني للسكان (خاصة التركيب الريفي-الحضري) في حالة تغير مستمر عبر الزمن[4].

أما عن طغيان العنصر الشخصي على العملية السياسية في كل النظم العربية فيتمثل في الدور الحاسم الذي تؤديه العناصر والولاءات الشخصية والأسرية والعشائرية والقبلية في عملية صنع القرار، مما يجعل القيادات السياسية تمارس السلطة

3- المرجع نفسه، ص 176.

[3]- حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر، بحث في استطلاعي اجتماعي، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1984)، ص ص 220 – 280.

[4]- محمد صالح العجيلي، إشكالية التحضر والخصوصية الحضرية في الوطن العربي، مجلة البحوث والدراسات العربية، العدد 38، ديسمبر 2002، ص ص267-296.

استنادا إلى هذه العناصر الشخصية، دون تدخل يذكر من جانب تنظيمات ومؤسسات رسمية وحتى إذا وُجدت هذه المؤسسات فإنها تظل عاجزة عن القيام بدور مؤثر في العملية السياسية.

كما يمكن القول أن الثقافة السياسية في المجتمع العربي غير وظيفية بالمعيار الديمقراطي، إنها عموما ثقافة رعوية لا تشجع على المشاركة وتُكرِّس التسلُّط السياسي[1].

دور الولاء القبلي في الحياة العربية:

إن الولاءات القبلية والعشائرية والعائلية والقروية هي أكثر الولاءات التقليدية رسوخا وتأثيرا في مجمل الحياة العربية المعاصرة كما أن المجتمعات الوسيطة، تحتل مركزا مرموقا في حياة العرب الاجتماعية؛ فعلى الرغم من توسع المدن والهجرة والتعليم وازدياد توظيف المواطنين ذوي الأصول الريفية والبدوية في بيروقراطية الدولة، إلا أن دور مثل هذه الجماعات لا يزال بارزا في العديد من مظاهر الحياة العربية، حيث سادت أنماط المعيشة الريفية والزراعية والقروية، المجتمع العربي لزمن طويل وارتبطت حياة أهل الريف بالأرض، فتمحورت حول الحقل والبيت أو العائلة، ومزارات الأولياء وبيوت العبادة والساحات العامة، والعلاقات الأولية الشخصية الوثيقة، واستنبطت قيم الخصب والصبر والأخوة والانكفاء على الجذور، ومارست تقاليدها ممارسة طقوسية كممارساتها للفصول[2].

حتى الأربعينيات من القرن العشرين كانت القرية ولا تزال على الرغم من الهجرة وتجاوز الفجوات بينها وبين المدينة مركز الجاذبية في حياة غالبية سكان البلدان العربية.

وعلى الرغم من انخفاض نسبة سكان الريف في الوطن العربي خلال منتصف ثمانينيات القرن العشرين إلى حوالي 55% إلا أن الطابع الريفي لا يزال يسود حياة جزء مهم من المجتمع العربي[3].

كما يتمحور التنظيم الاجتماعي في القرى وحتى المدن العربية حول العائلة الممتدة بل إن القرية كثيرا ما تكون مجموعة من العائلات وتتكون العائلة الممتدة من عدد من الأسر التي تحمل كنية واحدة، ويعود نسبها إلى جد واحد استمدت منه هذه الكنية[4].

وفي العائلة الواحدة يحتل الأب التقليدي قمة هرم السلطة في العائلة، فيتوجه إلى أفرادها بالأوامر والنصائح والإرشادات والتهديدات بينما يتوجهون إليه بالاستجابة والتأكيد على الطاعة والاحترام.

---

[1]- جلال عبد الله معوض، أزمة المشاركة السياسية في الوطن العربي، المستقبل العربي، السنة السادسة، العدد الخامس والخمسون، أيلول (سبتمبر)، 1983.

[2]- المرجع السابق، ص 78.

[3]- المرجع نفسه، ص ص 78 – 79.

[4]- المرجع نفسه، ص 180.

ومما يلفت النظر أن صورة الأب هذه تعممت في المجتمع، فينظر الناس بالمنظور نفسه إلى الأستاذ وصاحب العمل والقادة، ويتصرف هؤلاء في مواقعهم وكأنهم الأب[1].

التنظيم الاجتماعي في المدن العربية:

إذا بحثنا عن العناصر السكانية لأغلبية مدننا، نجد أصولها من الأرياف والقرى المجاورة أو النازحة من الريف، ولهذه الحقيقة امتدادها التاريخي في الدول العربية.

حيث استخلص ابن خلدون من التجربة التاريخية لكثير من المدن المغاربية (نسبة إلى المغرب العربي) ما يؤكد هذه الفكرة بقوله: "ومما يشهد لنا أن البدو أصل للحضر، ومتقدم عليه أن إذا فتّشنا أهل مصر من الأمصار وجدنا أولية أكثرهم من أهل البدو الذين بناحية ذلك المصر وعدلوا إلى الدّعة والترف الذي في الحضر، وذلك يدل على أن أحوال الحضارة ناشئة عن أحوال البداوة، وأنها أصل لها فتفهمه[2].

يتميز العالم العربي بتجاوز أساليب الحياة الثلاثة بسبب الطبوغرافيا والمناخ والتاريخ الاجتماعي،كما اعتبر علي الوردي أن العالم العربي تحركه قيم البداوة، وأنه يتأرجح بين أسلوب الحياة البدوية وحياة الحاضرة[3].

وإذا استثنينا بعض الدراسات الغربية الحديثة عن توطين البدو أو دراسة حياتهم اليومية أو سماتهم الثقافية واللسانية أو تأثيرهم على الحياة في المدن، فإن ما هو مقدم من طرف المراكز البحثية العربية قليل ومحدود جدا[4].

ومما يزيد من حدة الوضع أن غالبية مؤسسات المدنية الحديثة ذات خلفيات غربية وتتطلب مهارات وقدرات عقلانية، وهي بهذا تتعارض مع القيم التضامنية التقليدية القائمة على العصبية للأهل والجماعة القرابية، مما يولد تنازعا وتضاربا مع متطلبات هذه الحياة، فحياة تعتمد على البيروقراطية والملكات والقدرات، وتقوم على التخصص وتعقيدات تقسيم العمل، لا يمكن أن تستمر الحياة فيها إطلاقا من (قيم القرية) أو (العشيرة)؛ مما يسبب في كثير من الأحيان في تشوهات وتضاربات هيكلية، قلما درست أو حتى وضعت موضع الدرس والتحليل في الدراسات الحضرية.

إذا كانت الحياة الاجتماعية العربية تقوم على نوع من التضامن والتراحم بين أفراد العائلة أو العشيرة أو الجيران، وهو ما لا نجد له حضورا بارزا في المدينة الحديثة، لكن على الرغم من ذلك لا نجد أيضا سوى دراسات محدودة عن أسباب فتور هذه القيم التي كانت سائدة أو ضعفها أو لماذا هي في حالة تلاشٍ، والعمل على معرفة الأسباب المعيقة كذلك من ناحية

---

[1]- المرجع نفسه، ص 81.

[4]- الحبيب الجنحاني، المجتمع العربي الإسلامي: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، سلسلة عالم المعرفة (319)، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2005)، ص186.

[3]- أبو بكر أحمد باقدر وعبد القادر عرابي، آفاق علم اجتماع عربي، (دمشق: دار الفكر، 2006)، ص 53.

[4]- المرجع السابق، ص 54.

ودراسة أشكال العلاقات الطوعية الحديثة التي يمكن أن تشكل بدائل لحياة حضرية أكثر تعاونا وتعاضدا وإيجاد المؤسسات الحديثة التي من شأنها أن تسهم في ذلك[1].

ولا تنفصل المؤسسات الرسمية عن الولاءات التقليدية من عائلية وطائفية فضلا عن التجمع حول تنظيمات ذات أصول طبقية كالأحزاب، والنقابات والجمعيات.

وقد شكل الحي أو الحارة تقليديا وحدة اجتماعية مهمة في حياة المدينة العربية يمكن القول أن كل مدينة عربية كانت في الأساس مجموعة أحياء متميزة؛ فألفت عملا فسيفسائيا فريدا مختلفا اختلافا جوهريا عن المدن الصناعية في الغرب.

وتسود الأحياء العلاقات الشخصية الوثيقة، كما يشكل الحي أو الحارة وحدة اجتماعية ايكولوجية Ecological تامة مترابطة تملك ثقافة فرعية Subculture ضمن ثقافة المدينة الأعم[2].

أما عن نوعية القيم السائدة، ففي الوقت الذي تتمسك الطبقات الحاكمة البرجوازية بقيم النجاح والربح والكسب المادي والطموح والتحديث، والاقتباس والسفر والانضباط والاعتماد على النفس، نجد أن الطبقات الكادحة تشدد على قيم العلاقات الشخصية في الجيرة والقيم العائلية، والصبر والإيمان وتلك القيم المشابهة أو المتصلة بها والتي تشارك فيها أهل القرى إلى حد بعيد[3].

أما على المستوى الفردي فالإنسان العربي عضو في عائلة أكثر من فرد مستقل، فهو مسؤول عن تصرفات أفراد العائلة بالإضافة إلى مسؤولياته عن تصرفاته الخاصة، وكون العائلة وحدة إنتاجية اجتماعية في القرارات المتعلقة بالزواج والطلاق وتنشئة الأطفال..

كما يُفترض في العلاقات بين أعضاء الأسرة أن تقوم على التعاون والمودة والتنظيمات أو الالتزام القائم الشامل وغير المحدود في جميع المجالات ودون تحفظ[4].

كما أن التضامن الاجتماعي في الدول العربية لا يزال يوظف البنية القرابية، وقد بينت المتابعة أن البنية القبلية عرفت عملية تفكيك واسعة، لكنها استمرت رمزيا وثقافيا، فهي لا تفتأ تستعيد إنتاج بعض ملامحها في مناسبات أو شكل دوري، وبخاصة حينما تتحرك المصالح الفردية والجماعية فضلا عن إمكانية تهيكلها في الخارج[5].

---

[1]- المرجع نفسه، ص ص 60-61.

[2]- جلال عبد الله معوض، أزمة المشاركة السياسية في الوطن العربي، المستقبل العربي... مرجع سابق، ص ص 95 – 98.

[3]- المرجع السابق، ص 100.

[4]- المرجع نفسه، ص 176.

[5]- محمد نجيب بوطالب، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2002)، ص 12.

إن الانتشار الواسع اليوم للعلاقات الحميمية الشخصانية والوثيقة في المجتمعات العربية، وكذا الإفريقية والآسيوية بشكل خاص، يدل على ازدواجية الأداء بشكل نهائي، أو تحل محلها بالنسبة إلى بعض الوظائف على الأقل، لا يزال الفرد رغم تغير وضعيته في التعليم والعمل والمكانة الاجتماعية محكوما بسلطة الجماعة الأولية.

إن ظاهرة الاستنجاد بالقرابة والتوسط في الحصول على العمل أو المنصب، بل حتى ضمان الحقوق المعيشية الأساسية لا تختفي عن أي وسط اجتماعي عربي.

كما أن التنافس لا يتحقق دوما وفق القوانين والضوابط الرسمية، وإنما ضمن شبكة خفية أو شبه علنية من الأعراف والتوسطات[1].

يتمثل توظيف شبكة العلاقات القرابية في الأنشطة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية أهم مظاهر استمرارية الجماعات الأولية وحضورها الفاعل في المجتمع المحلي ذي التقاليد القبلية العريقة.

وتمثل إستراتيجية العمل السياسي المحلي والجهوي مجالا خصبا لإحياء العلاقات القرابية بمعانيها الضيقة والواسعة، وهذا ما أدى ببعض المجموعات إلى الاستنجاد بالهوية القبلية التي عادة ما يحركها عاملا النفوذ السياسي للجماعة من جهة، والمردودية الموسمية للأرض (توفر المرعى وإمكانية الحراثة)، من جهة ثانية فالأرض والسياسة أو بمعنى آخر موسم الانتخاب وموسم الحراثة في الأرض الجماعية، يمثلان اثنين من أهم فرص استنهاض الهوية القبلية في الأرياف وحتى بعض الحواضر المغاربية[2].

ويؤكد ابن خلدون أن النزعة إلى الالتحام كانت موجودة بين البدو وضئيلة بين الحضر[3].

وقد وجد حليم بركات في دراسة له حول الشباب الجامعي في لبنان أن الاغتراب عن العائلة منخفض جدا مقارنة مع الاغتراب عن السياسة والمجتمع والدين ومؤسسات التربية والعمل، ذلك أن العائلة لا تزال الأكثر قدرة على التماسك والاندماج من المؤسسات الكبرى[4].

قادة الرأي؛ المصطلح والمعاني المختلفة:

يأتي ذكر كلمة "قادة الرأي" في مقام الإشارة إلى الأشخاص من ذوي النفوذ في مجال استحسان الأفكار الجديدة أو استهجانها.

---

[1]- المرجع السابق، ص 14.

[2]- المرجع نفسه، ص 163.

[3]- المكان نفسه.

[4]- Halim Barakat, Lebanon in strife : student preludes to the civil War modern Middle East series, 2 (Austin tex : University of Texas press, 1977), p5.

وقائد الرأي مصطلح يقابله بالأنجليزية "Opininon Leader" وبالفرنسية Guide d´opinionحسب خبراء وباحثي الاتصال هو: "الفرد الذي يؤثر في المحيطين به بحكم وظيفته ومكانته الاجتماعية، ويتميز قائد الرأي باهتمامه بوسائل الإعلام ومتابعته لمختلف موضوعاتها"[1].

كما عرف أفريت روجرز Everett Rogers قائد الرأي بأنه: "ذلك الفرد الذي يبذل جهدا للتأثير على الآخرين، والذي يتلقى منه الآخرون المعلومة والنصيحة"[2].

وتتعدد الأوصاف التي تُطلق على قادة الرأي ،والقائمة التالية تزودنا بدليل نستدل به على مجموعة الكلمات التي استخدمها الكثير من الكتاب بدلا من كلمة قادة الفكر:

مفاتيح الاتصال (استخدمها "ليونبرجر" عام 1960).

* الزعماء (استخدمها "مارش وكولمان" عام 1954).

* الزعماء غير الرسميين (استخدمها "ويكلننج" عام 1952).

* زعماء الاستعلامات (استخدمها "شيبرد" عام 1960).

* زعماء تبني الأفكار (استخدمها "روجرز وسافيليوس" عام 1960).

* أصحاب النفوذ المحليون (استخدمها "ليونبرجر" عام 1953).

* أصحاب النفوذ (استخدمها "ميرتون" عام 1957).

* أصحاب التأثير (استخدمها "أمري"و"أوزر" عام 1958).

* صناعة الذوق (استخدمتها جماعة الرأي العام عام 1959).

* مهندسو الأسلوب (استخدمها "كولمان").

* شموع الاحتراق (استخدمها "روس" عام 1958).

* حراس الأبواب (استخدمها "كوين" عام 1952).

وجميع هذه الأسماء تشير إلى نفس الموضوع وهو قيادة الرأي.

وقبل أن تظهر هذه التعبيرات إلى الوجود، استخدم "لازار سفيلد" وآخرون عام 1944 كلمة "رائد الفكر"، ومما لاشك فيه أنه يوجد من أنماط قادة الفكر بقدر ما يوجد من أفكار... وبالرغم من ذلك، ثمة حاجة شديدة إلى تقنين مدلولات الكلمة وتحديد المقياس الذي يستخدم في اختيار قادة الفكر[3].

5- محمود إبراقن، المبرق: قاموس موسوعي للإعلام والاتصال (فرنسي- عربي)، (الجزائر: منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2004)، ص 337.

[2]- هويدا عدلي، قادة الرأي: المفهوم والمنهج، المجلة الاجتماعية القومية، المجلد التاسع والعشرون، العدد الثاني، القاهرة، مايو 1992، ص 57.

[3]- أفريت.م. روجرز، الأفكار المستحدثة وكيف تنتشر، ترجمة سامي ناشد، (القاهرة: عالم الكتب، 1962)، ص 260.

كما نجد مفهوم "**الآخرون المهمون**" :"Others Significant" المستَمد من نظرية جورج ميد عن النفس أو الذات، ويدلل على قدرة الفاعلين الاجتماعيين على تبني أدوار الآخرين، فهناك آخرون عديدون، سواء من الغرباء أو من داخل المجتمع، ممن يتم تبني أدوارهم فالآخرون المهمون هم أولئك الذين يكون لهم تأثير مهم أو يؤدون دورا أساسيا في تشكيل سلوكيات غيرهم.

ومنذ أن طرح ميد هذا المفهوم لقي استخداما عاما وشعبيا، حتى استخدمه أرميسيتد ماوبين Armisted Maupin عنوانا لروايته "الآخرون المهمون"[1].

يتصف قادة الرأي في المجال العلمي بمجموعة من الصفات تتلخص في كونهم يمارسون دورهم بكفاءة، وأن لهم القدرة على الاتصال أكثر من غيرهم، فهم عادة القادة في المجال، وأغزر الأعضاء إنتاجا، وأكثرهم تأثيرا في الآخرين، بل هم أكثر الأعضاء حرصا على القراءة، وأعمالهم يتم الاستشهاد بها عادة في أعمال الآخرين[2].

بعض الملامح الأولية حول قادة الرأي بالجزائر:

إن تحليل وضعية قادة الرأي في المجتمع الجزائري تستدعي معرفة السياق العام الذي يتحرك فيه هذا المجتمع، باعتباره ينتمي إلى مصاف المجتمعات النامية المتسمة بالتخلف في جميع مجالات الحياة.

فمن حيث التركيبة الاجتماعية نجد المجتمعات العربية ومنها المجتمع الجزائري، وعلى الرغم من بعض التحولات تؤدي فيه العائلة والقبيلة... دورا محسوسا في حياة الأفراد وسلوكهم، إذ تعتبر في بلدان عربية كثيرة واحدا من أهم مصادر التجنيد النخبوي على المستوى المركزي والمحلي[3].

كما أن الإنسان العربي عضو في عائلة أكثر منه فرد مستقل، فهو مسؤول عن تصرفات أفراد عائلته؛ بالإضافة إلى مسؤولياته عن تصرفاته الخاصة، وكون العائلة وحدة إنتاجية اجتماعية اقتصادية، يجعل القرارات شأنا عائليا وليس شأنا فرديا؛ خاصة في القرارات المتعلقة بالزواج والطلاق وتنشئة الأطفال.

كما يُفترض في العلاقات بين أعضاء الأسرة أن تقوم على التعاون والمودة والتضحيات أو الالتزام التام الشامل وغير المحدود في جميع المجالات ودون تحفظ[4].

---

[1]- جوردن مارشال، موسوعة علم الاجتماع، المجلد الأول، ترجمة محمد الجوهري (وآخرون)، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة،2006)، ص 122.

[2]- ولفرد لانكستر: نظم استرجاع المعلومات، ترجمة: حشمت قاسم، (القاهرة: مكتبة غريب، د.س.ن)، ص ص 413-418.

[3]- حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر: بحث استطلاعي اجتماعي، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1984)، ص ص220-280.

[4]- المرجع السابق، ص176.

ومن جهة أخرى يحتل الأب التقليدي قمة هرم السلطة في العائلة، فيتوجه إلى أفرادها بالأوامر والنصائح والإرشادات والتهديدات، بينما يتوجهون إليه هم بالاستجابة و التأكيد على الطاعة والاحترام.

أصناف قادة الرأي في المجتمع الجزائري: يُعتبر المجتمع الجزائري من المجتمعات غير المدروسة، ولذلك فإن التصنيف الموالي لقادة الرأي داخل المجتمع الجزائري هو تصنيف مبدئي يحتاج إلى دراسات ميدانية لتأكيده، وعليه يمكن من الناحية المبدئية تصنيف قادة الرأي في المجتمع الجزائري من خلال الحراك الاجتماعي إلى الأصناف التالية:

***العاملون على صعيد المؤسسات التعليمية والتربوية، من أساتذة الجامعات والمعاهد والمعلمين في مختلف المراحل التعليمية:**

حيث يتجلى دورهم في عملية التنشئة الاجتماعية، وتلقين مختلف القيم والمبادئ التي تعتمد على إبداء الرأي، وتعتمد أساسا على الكلمة المؤثرة والقدوة الحسنة، مما يفتح المجال واسعا لمثل هذه الفئات في التأثير، وتصدر النقاش في مختلف القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها...

*** العلماء والأئمة والخطباء وأهل الفتوى وشيوخ الزوايا:**

حيث لا يخفى على أحد دور الدين في حياة المجتمع الجزائري، الذي كان ولا يزال يضفي هالة كبيرة من القداسة على العلماء والأئمة والخطباء وأهل الفتوى وشيوخ الزوايا، عبر المساجد بواسطة الخطب المسجدية والفتاوى والنصائح والتوجيهات، ويُمكن للملاحظ في مساجد القرى والأرياف والمدن ذلك الاحترام الكبير الذي يحظى به الأئمة من قبل المصلين والسكان على حد سواء.

*** الأدباء والشعراء والقصاصون وكتاب المسرحيات:**

حيث يؤكد التاريخ العربي والإسلامي أن الشاعر والخطيب والقصاص زاولت تأثيرها على نفسية الفرد العربي منذ عدة قرون، ولا يُستثنى من ذلك المجتمع الجزائري الذي يزخر بعدد كبير من فحول الشعراء سواء الشعبيين، أو الفصحاء تعدى ذكرهم حدود الوطن، ولا تزال الأجيال المتعاقبة تردد إبداعاتهم ومآثرهم.

*** قادة الأحزاب السياسية العاملة:**

حيث يتكون المسرح السياسي الجزائري اليوم من عدد من الأحزاب السياسية النشطة من مختلف الاتجاهات، والتي تؤطر عددا معتبرا من المناضلين يظهر دورهم المؤثر أثناء المواعيد الانتخابية والسياسية الوطنية.

ففي نتائج إحدى الدراسات الميدانية حول الاتصال الشخصي داخل المجتمع الجزائري ذكرت عينة من مجتمع البحث أنها تأثرت برأي مسؤول حزبي أثناء النقاش الذي صاحب حملة الاستفتاء حول ميثاق السلم والمصالحة الوطنية بالجزائر خلال شهر سبتمبر 2005[1].

ذلك أن العديد من المسؤولين الحكوميين ورجال الدولة الجزائرية من وزراء برلمانيين ومسؤولين محليين شاركوا في الحملة الواسعة لشرح مشروع ميثاق السلم والمصالحة الوطنية.

ذلك أن القرار الانتخابي في جزء كبير من الدول النامية التي تمتاز مجتمعاتها بالطبيعة التقليدية كالجزائر، يُتخذ بصفة جماعية نظرا لطبيعة هذه المجتمعات التي يغلب عليها طابع الاتصال الشخصي عبر العديد من الجماعات.

وهو ما أكده الباحثان جون ريلي J. W Riley وماتيلدا ريلي M. w Riley على تأثيرات الجماعات الأولية والبناءات الاجتماعية الأخرى في المجتمع على كل من المرسل والمستقبل وكذلك تأثير السياق الاجتماعي العام على عملية الاتصال[2].

*** أعضاء المجالس المنتخبة الوطنية والمحلية:**

إن الأفراد هم نتاج خبراتهم وتأثيرات بيئتهم، وبيئة الأفراد هي التي تفرض عليهم نمط الاتصال، وهي التي تقوم بتشكيل القيم والاتجاهات والمعتقدات، والفرد يتأثر بمن حوله مثل العائلة والأصدقاء والزملاء ووسائل الإعلام، ثم بالمجتمع ككل، فالعديد من أعضاء المجالس المحلية والوطنية أضحوا ذوي تأثير ونفوذ محلي وربما وطني، نظرا لاحتكاكهم المتواصل بالجماهير في مختلف المناسبات الانتخابية التي سلطت عليهم الأضواء، ولصلتهم المباشرة بالانشغالات اليومية لهذه الجماهير.

*** قادة النقابات والاتحادات وجماعات المصالح الموجودة:**

فهؤلاء يتزعمون جماهير عمالية ومهنية، كنقابات الموظفين والصحفيين والأساتذة والمهندسين وغيرهم... وسواء كانوا منتخبين أم معينين، فهم يحتلون مواقع تسمح لهم بالتأثير على أغلب أعضاء هذه الاتحادات، والقيام بدور في تشكيل اتجاهات الرأي العام بين جماهيرها.

*** رؤساء الجمعيات وناشطو المجتمع المدني وجمعيات الأحياء...**

---

[1]- جمال العيفة، الاتصال الشخصي ودوره في العمل السياسي: دراسة ميدانية حول استفتاء ميثاق السلم والمصالحة الوطنية بالجزائر (29 سبتمبر2005)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علوم الإعلام والاتصال، قسم علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر-بن يوسف بن خدة-، جانفي 2008، ص252.

[2]- M. w Riley and J. w Riley, « Mass Communication and Social System » Jm R.K Morton and al, Sociology Today, Basic Book, New york, 1959, pp 531-578.

فهؤلاء لديهم احتكاك يومي مباشر بمختلف أفراد المجتمع، بحكم طبيعة عملهم التي تقوم على أساس المساعدة والرعاية الاجتماعية وتقديم مختلف المساعدات.

*** المجاهدون وقادة وأبطال ثورة التحرير:**

لا يزال لهؤلاء دورهم المؤثر والفعال في التأثير على قطاعات واسعة من المجتمع، بالنظر إلى الدور الذي أدوه في تحرير الوطن من الاستعمار الفرنسي، وخاصة المتعلمون منهم الذين تصدوا بكتاباتهم وأفكارهم لمحاولات تشويه المجتمع الجزائري.

*** رجال المال والأعمال:**

لما يتمتع به هؤلاء من نفوذ وسمعة داخل المجتمع الجزائري، حيث أن العديد منهم اكتسب مكانته من خلال مجموع الخدمات والمساعدات التي يتم تقديمها لمختلف الفئات الاجتماعية.

*** رجال الإعلام من مختلف الوسائل الإعلامية العمومية والخاصة:**

حيث يمارسون دورهم القيادي على المستوى الفكري بواسطة عرض آرائهم حول القضايا الوطنية والدولية، عبر أعمدة الصحف ومنابر الإذاعة، وشاشات التلفزيون، ويبرز ضمن هؤلاء كُتاب الأعمدة في الصحف، وكبار المحققين والمذيعين.

*** رؤساء النوادي الرياضية والرياضيون:**

خاصة المشاهير والنجوم الذين يتوسل إليهم المعلنون لزيادة المصداقية الإعلانية، والسياسيون لزيادة شعبيتهم في الانتخابات، ولإعجاب الشباب بهم وتقليدهم لهم في المأكل والملبس والسلوك، ولا يخفى في هذا الإطار الشعبية الواسعة لعديد الرياضات بين الشباب الجزائري، ومنهاكرة القدم.

*** الفنانون والممثلون والمشاهير:**

يظهر دورهم في المجتمع الجزائري من خلال الأدوار التي يؤدونها في مختلف المناسبات عن طريق الألبومات الغنائية، والأفلام والمسلسلات، والتمثيليات والأعمال الفنية التي تصنع لهم علاقة وجدانية مع جمهور المشاهدين.

*** فئة كبار السن وشيوخ العشائر والقبائل الذين يتصفون بالحكمة وبُعد النظر والقدرة على التأثير:**

غالبا ما تظهر لدى هؤلاء المشاركة الاجتماعية، والرغبة في التعاون ومساعدة الغير، تلجأ إليهم السلطات في العديد من الأحيان لفك بعض النزاعات المستعصية، بالنظر لما يتمتعون به من احترام ومصداقية.

*** الموظفون الرسميون ممن تتيح لهم وظائفهم تكوين شبكة علاقات اجتماعية واسعة:**

فهؤلاء يستطيعون مزاولة نوع من التأثير على الجماهير، كطبيب الوحدة الصحية، والطبيب البيطري، ومهندس الزراعة وغيرهم...

في الإطار ذاته، ومن الناحية الرسمية، فإن الحكومة الجزائرية ركزت غداة الاستقلال مباشرة على تقوية وسائل الإعلام السمعية البصرية التي لا تزال تحتكرها إلى يومنا هذا؛ وبدرجة أقل الصحافة المكتوبة، مانحة لها الدعم الكافي مقابل مردود

ضعيف في عمومه على مستوى الرسالة والأداء معا، وفي المقابل لم يكن هناك اهتمام كاف بالعديد من مظاهر الاتصال الأخرى، وفي مقدمتها الاتصال الشخصي الذي كان يمكن الاستفادة منه في مجالات الاتصال الاجتماعي والتوعية والتوجيه، ماعدا بعض المحاولات المعزولة في السبعينيات من القرن الماضي، أو استغلال وتجنيد بعض جمعيات المجتمع المدني للترويج لبعض المشاريع المجتمعية الظرفية كالانتخابات وغيرها... وهو ما يتناسب مع طبيعة المجتمع الجزائري الذي لا يزال يولي أهمية قصوى للصلات والروابط الاجتماعية والتقليدية، المبنية في أغلبها على الاتصال المباشر بين أفراد المجتمع.

وكان من الممكن الاستفادة من تجارب بعض البلدان الإفريقية والآسيوية والأمريكية الجنوبية؛ كمصر ونيجيريا والهند والبرازيل التي استخدمت في الحملات الإعلامية التي باشرتها الاتصال المباشر بواسطة قادة الرأي؛ من أجل بلوغ أقصى الهداف بأيسر السبل وأفضل النتائج، خاصة فيما يتعلق بتنظيم النسل والإقناع بضرورة استخدام المستحدثات التكنولوجية في الزراعة على وجه الخصوص، أين يبرز بشكل جلي الدور الهام لقادة الرأي.